

النقد والواقعة عند مندور

بمقام شوقي عيسى

الاصالة - انساع الاق - الارتباط بالواقع ، ميادين ثلاثة يلزم غزوها لتحقيق اي نهضة حقيقية في الفن . وفي هذه الميادين الثلاثة قام استاذنا الدكتور مندور بدور اولى الحكيم في عملية القز - في اوائل الاربعينات ، تشهد بذلك اعماله « التيارات النقدية في القرن الرابع الهجري » الذي صار فيما بعد كتابه « النقد المنهجي عند العرب » الذي يمثل اهم محاولة حديثة لاكتساب فكرنا النقدي قيمة الاصالة ، باعادة تقييم تراثنا النقدي واحياء الجوانب العظيمة منه ، مع الاستئارة بما وصلت اليه المعارف المعاصرة في الغرب من تقدم في تفسير الظواهر الادبية ، ومع مراعاة محلية بعض الظواهر في الادب العربي . كذلك مقالاته المنشورة بمجلتي الثقافة والرسالة التي صارت فيما بعد كتابه « نماذج بشرية » و « في الميزان الجديد » . يعرفنا الاول بعدد من اهم المكتسبات الانسانية في الادب الغربي ، بما تحمله من صفات النوعية في الصياغة ، وبما تؤكد من قيم انسانية ، وبما تكشف عنه من فهم رائد للحياة والنفس البشرية . ويعرض الثاني صورة مفصلة لمواجهة الدكتور مندور لواقع الحركة الادبية والنقدية في مصر ، مواجهة تتمخض عن معارك ادبية هامة ، حيث لا يكتفي ازاءها برفض ما لا يراه صحيحا من الاوضاع السائدة في الادب والنقد في بلادنا ، وانما يناهز بالبديل مما اسفر عن دعوته الى منهج في الشعر اسماه بالشعر المهموس .

الاصالة - انساع الاق - الارتباط بالواقع ، ميادين ثلاثة يلزم غزوها لتحقيق اي نهضة حقيقية في الفن . وفي هذه الميادين الثلاثة قام استاذنا الدكتور مندور بدور اولى الحكيم في عملية القز - في اوائل الاربعينات ، تشهد بذلك اعماله « التيارات النقدية في القرن الرابع الهجري » الذي صار فيما بعد كتابه « النقد المنهجي عند العرب » الذي يمثل اهم محاولة حديثة لاكتساب فكرنا النقدي قيمة الاصالة ، باعادة تقييم تراثنا النقدي واحياء الجوانب العظيمة منه ، مع الاستئارة بما وصلت اليه المعارف المعاصرة في الغرب من تقدم في تفسير الظواهر الادبية ، ومع مراعاة محلية بعض الظواهر في الادب العربي . كذلك مقالاته المنشورة بمجلتي الثقافة والرسالة التي صارت فيما بعد كتابه « نماذج بشرية » و « في الميزان الجديد » . يعرفنا الاول بعدد من اهم المكتسبات الانسانية في الادب الغربي ، بما تحمله من صفات النوعية في الصياغة ، وبما تؤكد من قيم انسانية ، وبما تكشف عنه من فهم رائد للحياة والنفس البشرية . ويعرض الثاني صورة مفصلة لمواجهة الدكتور مندور لواقع الحركة الادبية والنقدية في مصر ، مواجهة تتمخض عن معارك ادبية هامة ، حيث لا يكتفي ازاءها برفض ما لا يراه صحيحا من الاوضاع السائدة في الادب والنقد في بلادنا ، وانما يناهز بالبديل مما اسفر عن دعوته الى منهج في الشعر اسماه بالشعر المهموس .

الاصالة - انساع الاق - الارتباط بالواقع ، ميادين ثلاثة يلزم غزوها لتحقيق اي نهضة حقيقية في الفن . وفي هذه الميادين الثلاثة قام استاذنا الدكتور مندور بدور اولى الحكيم في عملية القز - في اوائل الاربعينات ، تشهد بذلك اعماله « التيارات النقدية في القرن الرابع الهجري » الذي صار فيما بعد كتابه « النقد المنهجي عند العرب » الذي يمثل اهم محاولة حديثة لاكتساب فكرنا النقدي قيمة الاصالة ، باعادة تقييم تراثنا النقدي واحياء الجوانب العظيمة منه ، مع الاستئارة بما وصلت اليه المعارف المعاصرة في الغرب من تقدم في تفسير الظواهر الادبية ، ومع مراعاة محلية بعض الظواهر في الادب العربي . كذلك مقالاته المنشورة بمجلتي الثقافة والرسالة التي صارت فيما بعد كتابه « نماذج بشرية » و « في الميزان الجديد » . يعرفنا الاول بعدد من اهم المكتسبات الانسانية في الادب الغربي ، بما تحمله من صفات النوعية في الصياغة ، وبما تؤكد من قيم انسانية ، وبما تكشف عنه من فهم رائد للحياة والنفس البشرية . ويعرض الثاني صورة مفصلة لمواجهة الدكتور مندور لواقع الحركة الادبية والنقدية في مصر ، مواجهة تتمخض عن معارك ادبية هامة ، حيث لا يكتفي ازاءها برفض ما لا يراه صحيحا من الاوضاع السائدة في الادب والنقد في بلادنا ، وانما يناهز بالبديل مما اسفر عن دعوته الى منهج في الشعر اسماه بالشعر المهموس .

الاصالة - انساع الاق - الارتباط بالواقع ، ميادين ثلاثة يلزم غزوها لتحقيق اي نهضة حقيقية في الفن . وفي هذه الميادين الثلاثة قام استاذنا الدكتور مندور بدور اولى الحكيم في عملية القز - في اوائل الاربعينات ، تشهد بذلك اعماله « التيارات النقدية في القرن الرابع الهجري » الذي صار فيما بعد كتابه « النقد المنهجي عند العرب » الذي يمثل اهم محاولة حديثة لاكتساب فكرنا النقدي قيمة الاصالة ، باعادة تقييم تراثنا النقدي واحياء الجوانب العظيمة منه ، مع الاستئارة بما وصلت اليه المعارف المعاصرة في الغرب من تقدم في تفسير الظواهر الادبية ، ومع مراعاة محلية بعض الظواهر في الادب العربي . كذلك مقالاته المنشورة بمجلتي الثقافة والرسالة التي صارت فيما بعد كتابه « نماذج بشرية » و « في الميزان الجديد » . يعرفنا الاول بعدد من اهم المكتسبات الانسانية في الادب الغربي ، بما تحمله من صفات النوعية في الصياغة ، وبما تؤكد من قيم انسانية ، وبما تكشف عنه من فهم رائد للحياة والنفس البشرية . ويعرض الثاني صورة مفصلة لمواجهة الدكتور مندور لواقع الحركة الادبية والنقدية في مصر ، مواجهة تتمخض عن معارك ادبية هامة ، حيث لا يكتفي ازاءها برفض ما لا يراه صحيحا من الاوضاع السائدة في الادب والنقد في بلادنا ، وانما يناهز بالبديل مما اسفر عن دعوته الى منهج في الشعر اسماه بالشعر المهموس .

الاصالة - انساع الاق - الارتباط بالواقع ، ميادين ثلاثة يلزم غزوها لتحقيق اي نهضة حقيقية في الفن . وفي هذه الميادين الثلاثة قام استاذنا الدكتور مندور بدور اولى الحكيم في عملية القز - في اوائل الاربعينات ، تشهد بذلك اعماله « التيارات النقدية في القرن الرابع الهجري » الذي صار فيما بعد كتابه « النقد المنهجي عند العرب » الذي يمثل اهم محاولة حديثة لاكتساب فكرنا النقدي قيمة الاصالة ، باعادة تقييم تراثنا النقدي واحياء الجوانب العظيمة منه ، مع الاستئارة بما وصلت اليه المعارف المعاصرة في الغرب من تقدم في تفسير الظواهر الادبية ، ومع مراعاة محلية بعض الظواهر في الادب العربي . كذلك مقالاته المنشورة بمجلتي الثقافة والرسالة التي صارت فيما بعد كتابه « نماذج بشرية » و « في الميزان الجديد » . يعرفنا الاول بعدد من اهم المكتسبات الانسانية في الادب الغربي ، بما تحمله من صفات النوعية في الصياغة ، وبما تؤكد من قيم انسانية ، وبما تكشف عنه من فهم رائد للحياة والنفس البشرية . ويعرض الثاني صورة مفصلة لمواجهة الدكتور مندور لواقع الحركة الادبية والنقدية في مصر ، مواجهة تتمخض عن معارك ادبية هامة ، حيث لا يكتفي ازاءها برفض ما لا يراه صحيحا من الاوضاع السائدة في الادب والنقد في بلادنا ، وانما يناهز بالبديل مما اسفر عن دعوته الى منهج في الشعر اسماه بالشعر المهموس .

الاصالة - انساع الاق - الارتباط بالواقع ، ميادين ثلاثة يلزم غزوها لتحقيق اي نهضة حقيقية في الفن . وفي هذه الميادين الثلاثة قام استاذنا الدكتور مندور بدور اولى الحكيم في عملية القز - في اوائل الاربعينات ، تشهد بذلك اعماله « التيارات النقدية في القرن الرابع الهجري » الذي صار فيما بعد كتابه « النقد المنهجي عند العرب » الذي يمثل اهم محاولة حديثة لاكتساب فكرنا النقدي قيمة الاصالة ، باعادة تقييم تراثنا النقدي واحياء الجوانب العظيمة منه ، مع الاستئارة بما وصلت اليه المعارف المعاصرة في الغرب من تقدم في تفسير الظواهر الادبية ، ومع مراعاة محلية بعض الظواهر في الادب العربي . كذلك مقالاته المنشورة بمجلتي الثقافة والرسالة التي صارت فيما بعد كتابه « نماذج بشرية » و « في الميزان الجديد » . يعرفنا الاول بعدد من اهم المكتسبات الانسانية في الادب الغربي ، بما تحمله من صفات النوعية في الصياغة ، وبما تؤكد من قيم انسانية ، وبما تكشف عنه من فهم رائد للحياة والنفس البشرية . ويعرض الثاني صورة مفصلة لمواجهة الدكتور مندور لواقع الحركة الادبية والنقدية في مصر ، مواجهة تتمخض عن معارك ادبية هامة ، حيث لا يكتفي ازاءها برفض ما لا يراه صحيحا من الاوضاع السائدة في الادب والنقد في بلادنا ، وانما يناهز بالبديل مما اسفر عن دعوته الى منهج في الشعر اسماه بالشعر المهموس .

المنهج الجمالي :

يقدر الدكتور مندور في حديث له مع الناقد فؤاد دودة منشور بكتاب الهلال شهر يوليو 1965 ، انه كان يأخذ بالمنهج الجمالي في المرحلة الاولى من حياته الادبية ، ويركز على القيم الجمالية فسي النص الادبي خاصة في الشعر ، ويمثل على ذلك بكتابه « النقد المنهجي عند العرب » و « في الميزان الجديد » ، مسقطا من حساب تقييم تلك المرحلة كتابه الكبير « نماذج بشرية » ، الذي يركز فيه على الجوانب المتصلة بالضمون الانساني والاخلاقي والاجتماعي الذي يحمله النموذج ويوحى به ، مما سنفصل القول فيه فيما بعد . وانما يهمننا الان تحديد القصد بالمنهج الجمالي والقيم الجمالية ، خاصة وان هذه المصطلحات لم تستقر الى مفهوم واحد محدد ، وما زال علماء الجمال وفلاسفة الفن والنقاد يختلفون حول معنى الجمال في الفن .

ولتحديد مفهوم الدكتور مندور عن الجمال نرجع الى ثقافته واعماله ، اما بخصوص ثقافته فنشير اولا الى من تأثر بهم مسن قدامى النقاد العرب ، واهمهم ابن سلام الجمحي والامدي وعبد العزيز الجرجاني وعبد القاهر الجرجاني ، فنجد انهم لم يطرحوا قضايا الادب الا على نحو جزئي ، ولم يتعرضوا للقضايا الكلية بما يفيد فسي تحديد مفهوم عام عن الجمال ، وان كان هذا لا يمنع من استخلاص نظرتهم الى الجمال عن طريق الاستقراء كما فعل الدكتور مندور في كتابه « النقد المنهجي عند العرب » ، ووجد عندهم مقاييس تقليدية تتعلق باللغة ، واخرى تتناول الصور وطرق البيان ، ومقاييس نفسية او عقلية تناقش الاحساسات والمعاني ، ولكنها في جملتها قليلة التحديد فيما يتعلق بالجمال ككل . وكان لا بد من تأثر الدكتور مندور بالتيارات السائدة في الادب والنقد العربي الحديثين ، التي اخذت في ارساء افكارها العامة منذ عشرينات هذا القرن ، ولم تبدأ الاربعينات الا وهي متبلورة في مدارس وجماعات اهمها مدرسة الديوان وجماعة ابولو وجماعة المهجر ، بالإضافة الى من تلمذ على ايديهم ناقدا في مصر واهمهم

وتعريفنا بالزبد عنها . واذا كان كبار مفكري الواقعية في الفن قد ادركوا اخيراً هذه الحقائق ، فان الدكتور مندور قد ادركها بحسه الرفيف منذ ربع قرن . وهو ما ينطق به كتابه « نماذج بشرية » الذي شق طريقه بروح كلاسيكية ، ومزاج خليط من الواقعية والرومانسية ، متقدما عبر ذاتيات اصحاب الديوان ، واحزان ابوللو وفلسفة المهجر الموحشة ، شق طريقه حاملا الكلمات والنار والحربة لمن فقدوا الخبز والمرح .

روح كلاسيكية :

اما عن الروح الكلاسيكية عند الدكتور مندور فتتجلى لنا منذ البداية، في تعليقاته العديدة بكتابه « النقد المنهجي عند العرب » . وما هو بعد ان بدلنا على الاهمية القصوى التي يلقها الامدي على الصياغة ، كما تتضح في عبارة الناقد العربي القديم « ان حسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى الكشوف بها وحسنا ورونقا حتى كأنه قد احدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد » ، يعلق الدكتور مندور على ذلك بقوله « ... والكاتب او الشاعر الماهر هو من يفتن الى هذه الحقيقة ويكون من حسن الذوق وسلامة الحس بحيث يقيم النسب الدقيقة بين اللغة كوسيلة واللغة كغاية في الادب فلا يسرف في اعتبارها وسيلة لانه يحرم بذلك نفسه من عناصر هامة فسي التأثير ، عناصر التصوير ، وعناصر الموسيقى ، وكذلك يحذر من ان ينظر اليها كغاية فيأتي ادبه او شعره وقد غلبت عليه اللفظية وخلا من كل مادة انسانية فكرا واحساسا » . . . وليس ادل على روحه الكلاسيكية من دعوته هذه الى اقامة التوازن المنشود في اللغة ، بتوخي النسب الدقيقة في توظيفها الفني . ولا مفر من معاودة الإشارة هنا الى ان الناقد في هذه الدعوة، كان محدودا بالموضوع المطروح امامه ، وهو القصيدة العربية . اما حين يتعرض الدكتور مندور لتحليل النماذج البشرية فان قضايا مختلفة هي التي تثار ، فمثلا في حديثه عن ابراهيم الكاتب بطل قصة المازني يتعرض لشخصية « الشيخ علي » قائلا : « وثمة خواطر جرى بها لسان « الشيخ علي » فادهشتني لانها « بابراهيم » اليق وفي لفات ذهنه ادخل » . مما يذكرنا بقول الناقد الشاعر هوراس « فاذا كانت لغة التكلم غير مطابقة لحالته ، فان روما باسرها ، راكبيها وراجليها ، ستجتمع للسخرية منه » ومثل اخر يدلنا على النزعة الكلاسيكية في نقد الدكتور مندور ، تعليقه على قصة الاستاذ تيلان اذ يقول : « هذه هي قصة الاستاذ تيلان الذي اصبح مضرب الامثال في الدهاء واجزاؤها المختلفة ليست في نسبة واحدة من الصلة بالحياة » . ثم يدل على رايه بالرجوع الى مناقشة احداث القصة وكأنه يعيد الفقرة الثانية من صيحة الشاعر اللاتيني « اقتف اثر السلف ، او فلتبتكر شيئا متجانس الاجزاء . »

ان النزعة الاخلاقية المحافظة في اغاني الكورس فسي تراجيديات الاغريق القدماء والرومان كثيرا ما تتردد في تعليقات الدكتور مندور على نماذجه ، فهو بعد ان ينتهي من تحليل مرحلة اجتيازها من حياة جوليان سوبيل بطل رواية « الاحمر والاسود » للكاتب الفرنسي ستاندال ، يوضح المبررات التي دفعت جوليان الى فقدان الحس الاخلاقي في انتقامه من مجتمع لم يعترف بكفاءته ومواهبه واشبعه اذلالا واحتقارا وبعد ان يحاول اثاره عطفنا عليه باعتباره ضحية لجور القيم الاجتماعية الظالمة ، يختم مقاله بدعوة مشبعة باخلاقيات سقراط : « وما ينبغي مهما تكن الظروف ان نفقد الحس الاخلاقي فنضرب على غير هدى . »

ويصدر الدكتور مندور عن نفس الحس الاخلاقي الكلاسيكي المحافظ في تعليقه على رواية « اوليس » للكاتب الانجليزي المعاصر جيمس جويس : « ان في اوليس ما لا يجزئ المرء ان يعترف به حتى بينه وبين نفسه ، وتلك بلا ريب مقدرة قد تحمد للكاتب ، ولكننا في الحق لا نكاد نطمئن الى نفع نراه فيها او ضرورة ملجئه اليها ، فهي لا تزيدنا معرفة

— التتمة على الصفحة ٦٠ —

كافة اعماله المنجزة في مرحلة ما ، ليتسنى تحديد خصائص مفهومه من الجمال الخاص بهذه المرحلة . ففي كتاب « نماذج بشرية » للدكتور مندور تحليل لنماذج ملحمية ، ودرامية ، وروائية وهي انواع ادبية طرح قيما وقضايا ، توسع من مفهوم الناقد الجمالي ولا يمكننا ان نتصور تعرضه لها في كتابه « النقد المنهجي عند العرب » حيث لم توجد هذه الانواع الادبية في الادب العربي القديم . كذلك فان الدكتور مندور لم يكتب اكثر من ستة مقالات يتعرض فيها لمناقشة فن القصة والمسرح العربيين في كتابه « في الميزان الجديد » الذي يناقش الادب العربي السائد في اوائل الاربعينات ، ويحتوي على ست وثلاثين مقالة هي فيما عدا ما ذكرناه دراسات ومناقشات حول الشعر الفنائي ومشاكل اللغة والوزن ، نظرا لان النوع الادبي الغالب في ذلك الحين كان شعر القوائد او الشعر الفنائي . هذا في نفس الوقت الذي يتعرض فيه كتاب نماذج بشرية لاتجاهات اخرى في الادب العربي ، تصور نماذج للجمال تختلف باختلاف الاحتياجات الروحية للبشر في مراحل الحضارة المتطورة ، ويحتوي كل نموذج على خصائص فنية وفكرية تميزه ، وتجعل منه شاهدا على عصر من عصور التاريخ الانساني ، وكان في اختيار الدكتور مندور للنموذج ، وفي طريقة عرضه له ، وفي تعليقاته المتناثرة في تصايف العرض ، وفي تأكيده على هذا الجانب او ذلك سواء تعلق بشكل النموذج المختار او بمشاعره او بافكاره او بافعاله ، وفي استخدامه لمنهج المقارنة ، يوحى بالقيم التي يريد ايصالها الى القارئ . ولم يكتب الدكتور مندور بالاتر الكلي الذي تتركه الملحمة او الدراما او الرواية في نفسه ، باعتباره السبيل الاوحد الذي يستطيع ان يفهم به كل جزء من اجزاء العمل الادبي موضع التحليل والنقد ، فلتن كان هذا المنهج كافيا لتفسير جوانب الجمال والقيج في القصيدة الشعرية ، فانه لا يكفي لاستكناه ما تتضمنه الانواع الادبية الاخرى التي يمكن ان تتمتع فيها الجزئيات بوجود مستقل نسبيا ، يتيح للناقد قصر حديثه على اوليس (هوميير) او السست (في كوميديا عدو البشر) او الامير موتسكين (في رواية دوستوفسكي « العييط ») . ولقد ادت طبيعة هذه الاعمال الادبية بناقدا الى الاستعانة بمنهج وصفي تحليلي مقارن ، للكشف عما تحويه نماذجه البشرية من قيم فنية وانسانية ، بالإضافة الى استلهامه تآثره الكلي بالعمل موضع التحليل والنقد كوسيلة لفهم الجزئيات .

ولا شك ان المنهج الجمالي الذي تبناه الدكتور مندور بالمفهوم السابق تحديد خطوطه العامة ، وكذلك ممارسته للنقد التآثري قد اعطياه قدرا عظيما من الحرية ، ساعده على النفاذ في الواقع الى اقصى ما تتحملة المرحلة التاريخية ، وساعده على ارياد افاق جديدة ، في التفكير النقدي ، يعود بعدها من جديد الى واقع حركتنا الادبية مباشرة باسرار فن عظيم . وكان يقلل من اثر الدور الذي اداه في خزمة الحركة الادبية والفنية في مصر وعالمنا العربي ، لو ارتبط منذ البداية ، باطار نظري في الفن اكثر صلابة ، فيركز على نماذج اتجاه واحد في الادب باعتباره المثل الاعلى ، في الوقت الذي كانت ارض الحركة الادبية والنقدية في بلادنا في ظلما لكل الاتجاهات الانسانية العظيمة في الفن باعتبارها مكاسب انسانية عامة ، وشواهد على روعة النضال الانساني من اجل حياة افضل .

الناقد الكلاسيكي كان سيبعث عن سر الجمال في العمل الادبي في مدى تحقيق جملة قواعد فنية وفلسفية . والناقد الواقعي « بمفهوم واقعية القرن التاسع عشر » كان سيبعث عن سر الجمال في العمل الادبي بمقارنته بمفهوم محدد عن الحياة . والناقد الذي يأخذ بالمنهج النفسي سيبعث عن سر الجمال في العمل الادبي فسي مطابقته لحياة الكاتب الخاصة وعقده النفسية ومزاجه العصبي الخ . . .

اما قواعد الجمال في الفن ، فهي بعد كل تحديد دائمة الحياة والتجدد . ويستحيل وقفها على شكل معين مهما كانت روعة ذلك الشكل . وكذلك فان فهم الفنان للحياة الانسانية لا يجب ان ينحصر في ادراك قوانينها العامة ، وانما يتطلب جهدا مستمرا لملاحقة حركة الحياة ،

النقد والواقعية عند مندور

— تنمة المنشور على الصفحة ٨ —

والبؤس ؟ » فاذا كان مولير يتوقف في مسرحيته « عدو البشر » عند الموقف الذي يخرج فيه بطله ألسنت من المسرح ويخلو الجو لحبيبتة المرجوة لسلمين والمعجيين بها يتبادلون عبارات الجمالة المعسولة، فيقصد بذلك الى معنى الرفض والادانة المنطوي عليه موقف البطل من المجتمع المستمر في رذائله ، فان الدكتور مندور لا يتوقف عند كشفه لهذا المضمون وانما يطلق العنان لتساؤلاته عن مصير البطل ، مساندا اياه وقد صار وحيدا في صحراء من صنع الخيال . .

وهو يعطف على حلم « دون كيشوت » بطل رواية سرفانتس مؤكدا روعة الجانب الرومانسي من مأساته ، مصورا اياه كبطل « مات بعد ان فشلت جهوده ولم تعد لديه القدرة على استئناف حياة بليدة راتبة، كالتي يحياها ملايين البشر من الخاملين » .

نخرج من ذلك بان تفكير الدكتور مندور النقدي لا يخلو من نزعة رومانسية تتردد فيها اصدااء ثقافته وروح العصر ، ولكنه في تخطيه الرومانسي للواقع ، اتجه دائما نحو تأكيد قيم انسانية خالدة كالصدق والطموح الى تحقيق العدل . اما الدور الاكبر الذي اداه مندور في خدمة الاب العربي والثقافة العربية فقد صدر فيه عن مزاج واقعي اصيل ، يتخلل اعماله النقدية جميعا فيكسبها ثورية هادئة عميقة «مزاج فلاح موهوب مثقف احب ارضه كحب اوليس لوطنه (ايتاليا) » وعرفها جيدا كعرفة جفروش لازقة باريس ، وعمل من اجلها بنيل متواضع كما عملت فيليستيه من اجل سيدتها ، وكان مرحا دائما لانه حر .

بداية الواقعية :

الفن والفكر الواقعيان ثمار نضال انساني من اجل الادراك المتزايد للانسان والواقع ، مما لا يمكن معه ان يوجد منفصلين عن تاريخ النضال والفن القومي .

الفن والفكر الواقعيان يتصفان كاتجاه بالشمول الانساني ، لذلك لا يمكن ان يزدهرا بمعزل عن مكاسب العصر في الفن .

وفي اوائل الاربعينات من هذا القرن كتب مندور يقرر هذه الحقيقة « هناك شيء يجب ان نقوله ، وهو اننا اليوم في مرحلة يجب ان تتوفر فيها كل الجهود على امرين : ١ - نشر الكتب العربية القديمة ودراستها وبعثها . ٢ - نقل التراث الاروبي على سبيل الترجمة . ومن الواجب ان يفهم الجميع ان النشر والترجمة هما اشرف عمل وانبل نشاط نستطيع التوفر عليه الان ، بل اقول انه من الضروري ان نعرف معنى التواضع والامانة العقلية وروح العلم الصحيح ، وان نشرب انفسنا بالوطنية فنعمل مخلصين لمصلحة بلادنا بنشر تراثنا القديم ونقل التراث العربي كاملين ، فمئذئذ يحق لنا ان نفخر بعملنا » ، وقد صاحب الدكتور مندور دعوته هذه بعمله الرائد في اعادة تقييم النقد العربي القديم في رسالته التي صارت فيما بعد كتابه « النقد المنهجي عند العرب » . وكذلك فقد ساهم بترجماته وبحوئه في مناهج الادب واللغة واصول النشر واوزان الشعر في نقل اخر ما وصل اليه الغرب من تقدم نظري في فهم ظاهرة الفن الى اللغة العربية . هذا في الوقت الذي حمل فيه عبء مسئولية تتبع اعمال معاصره من الادباء المئتمين الى جماعات الديوان وابولو والهجر مما اسفر عن دعوته الى الادب المهموس والشعر المهموس خاصة وعن تقبده النافل للساليب الفنية التي انتهجها كتاب القصة الاوائل مثل محمود تيمور وطه حسين والعقاد والزيات وبشر فارس ، ثم اهتمامه بتوجيه مسرح الحكيم الفارق في الافكار المجردة نحو افق اكثر امتلاء بالحياة . ولقد ادرك مندور كما يدرك اساندة الواقعية الان وجود كتاب كبار لديهم ما يقولونه لجميع البشر في الشرق والغرب ، بفضل قدرتهم على تمثيل القضايا الجوهرية للانسان والعصر « فاوليس » لم يكن نموذج الشعب الاغريقي في مراحل المختلفة فحسب ، بل انموذجا بشريا فيه الكثير من نواحي الانسانية التي نمتلكها او نود ان نمتلكها : فيه الحنين الى الوطن والهلفة الى العودة اليه ، مهما كان في ذلك من مخاطرات ، فيه روح الفاعلة التي تدفنا الى الضرب في الارض والبحار لنفيد تجارب ونثري بما نشاهد

الا بالجانب المظلم من نواحي الانسان ونحن في حاجة الى ضياء . » وكذلك في قصة الامير موتشكين مع ماري والاطفال يصر الناقد على استخلاص عظة اخلاقية محافظة من قصة الفتاة الفقيرة ، المريضة ، البائسة ، التي غرر بها رجل خبير « قوميونجي » فرنسي « فاعتبرها المجتمع فتاة ساقطة ، وانزل بها اشد صنوف التنكيل المادي والنفسي ، في الوقت الذي ادرك فيه الامير ، وساعد اطفال القرية حتى ادركوا معه انها ليست سوى فتاة بائسة جدا في اشد الحاجة الى الرعاية والحب ، ولكن الدكتور مندور يرى ان الفتاة قد سقطت سقطة اخلاقية لم يكن بد للهيئة الاجتماعية من ان تثور لها وينتهي الى ان ما انزل بها من تعذيب وقسوة وبطش ، قد نتج عنه الالم الذي طهرها من انمها - حتى لا تكاد نقتنع بفائدة ما انزل بالفتاة من تعذيب وقسوة وبطش - رغم ان ديستوفيسكي يعبر بوضوح عن دوافع سلوك الامير موتشكين « العبيط » والاطفال ويجسدها في ادراكهم لحقيقة بسيطة ومحددة ، هي بؤس الفتاة البالغ وحاجتها الماسة للرعاية والحب ، الشيء الذي خفي على الاخرين الذين تشوشت بديهتهم بفعل عرف اجتماعي فاسد ، يرى الدكتور مندور الامير موتشكين والاطفال وكأنهم ارواح الله المختارة تحمل الى البائسين نسمة من الرحمة . ونلخص النتائج السابقة في ان الروح الكلاسيكية المترسبة في منهج الدكتور مندور النقدي تتجلى فيما شاهدناه ينشده في العمل الادبي من قيم عقلية ، سواء تعلقت بالشكل او بالموضوع ، كدعوته الى تحقيق التوازن الدقيق في استخدام اللفة ، والى التناسب بين اجزاء العمل الفني في صلتها بالحياة وكذلك فيما شاهدناه من تبيينه للمنطق السائد في كثير من القضايا المتعلقة بالسلوك الانساني بحس اخلاقي محافظ .

ولكن ما استقر في نفسه من الروح الكلاسيكية لم يكن عائقا له في انطلاقه بقدر ما كان ضابطا لحيويته الفكرية الدافقة التي استفرقت اكثر من اتجاه في الادب والفن .

نزعة رومانسية :

« غادر ألسنت المجتمع البشري لما فيه من كذب ونفاق وجبن ، وما ندري اين يستطيع ان يعيش ولكن هبه لم يجد ماوى غير الصحراء! اليست صحراء يملؤها المرء بما في قلبه من حب صادق للشجاعة والاخلاص وقول الحق ، خير من قصور لا تهب فيها الا رياح النفاق

لتعزيز خبرتك

افضل ما يساعد المرأة على فهم نفسها اطلاعها على سير الرجال مع النساء ، وسير النساء مع الرجال ، ليتاح لها ان تقارن بين ما تعرفه من شؤون حياتها ونفسها ، وما جرى ويجري في حيوات الاخرين ونفوسهم . وكتاب « المرأة في حياة ادغار بو » ، مؤلفه عبد اللطيف شرارة ، دراسة نموذجية من هذا النوع تعرض للقارئ حياة ادغار بو الغرامية بما فيها من مغامرات ، وطرائف ، وحوادث مثقلة مع عشيقاته المديدات ، وقد وردت في الدراسة اخبار عشر منهن . ولكي تعزز معلوماتك وخبرتك بالحياة ، اطلب هذا الكتاب من « دار المكشوف » ، بيروت ، ص.ب. : ٥٨٠ ، التلغون : ٢٢٤٧٧٠ .

هذا الشهر :

مأساة الحلاج

مَسْرُحِيَّةٌ شِعْرِيَّةٌ
للشاعر صلاح عبد الصبور

في عام ٣٠٩هـ (ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعا)
ضرب وصلب وقتل في بغداد احد شيوخ الصوفية ،
الحسين بن منصور الحلاج ، فبكت العامة بكاء كثيرا ،
وكادت الفتنة تحدث . كان الحلاج يتودد الى الله
بدمه ، فتقبله الله منه ، وحين صلب تقبل الصلب
تحفة من الله ، وقال « اتحفت بالكشف واليقين ، وانا
مما اتحفت به خجل ، غير اني تعجلت الفرح » .
والتجربة الصوفية تجربة فنية رفيعة القدر ،
رهيفة المسالك ، وكشف الصوفي هو هو الهام الشاعر
والفنان . فالصوفي والفنان كلاهما باحث عن الاتساق
والتناغم مع الكون ، معيد لتصوير الكون على مثال
الخير والمحبة والجمال .

ومن هنا ، تشابكت طرق الصوفي الحلاج مع طرق
رجال السياسة في عصره ، ووقف وقفة الحائر :
هل يحمل الحقيقة التي هي كشف خاص ، ويمشي بها
بين الناس ، فتضيع خصوصيتها عندئذ ، ويفضب
صاحب الحقيقة ، ام يكتمها في نفسه متلذذا ؟
تلك هي مأساة الحلاج !

قريبا جدا :

الذي يأتي وللياتي

قصيدة طويلة
للشاعر عبد الوهاب البياتي

سيرة ذاتية لحياة عمر الخيام الباطنية الذي عاش
في جميع العصور ، منتظرا الذي يأتي ولا يأتي .

هن صود . فيه حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة التي لا تعدل بالفهم
شيئا ولا يردعا عن ذلك شيء . فيه كل هذا وفوق هذا من المعاني التي
تا زلنا نحرص عليها ونقف دونها « . وفيجارو « انموذج بشري خالد
لابناء الشعب الذين لا يطامن من كبريائهم ظلم ولا يعوزهم سلاح فان لم
يكن العنف فلتكن السخرية ... رمسز ثورة مجيدة حررت البشر من
قيوده وفتحت امامهم افاقا من الحرية واحترام الانسان لآخيه الانسان ،
لا نزال الى اليوم نلمح في جوانبها اجمل الاحلام « . وجولييان سوريل
« نموذج لنوي المواهب الذين نشاء الاقدار ان يشبوا بين طبقات
الشعب المتواضعة ، ثم ينظروا فاذا . بوقاحة المال وعزة المركز وصلف
المحتد تنكر لما وهبوا وتود لو درجتهم اكفانا من الاحقار ، واذا بكبرياء
المواهب تحرق الاكفان . « وابراهيم الكاتب « نموذج بشري لذلك النوع
من الناس الذين يطول تفكيرهم في انفسهم وفي الحياة لا يبتدون الى
فهم يرتضونه ، فينتهي بهم الامر الى التحرر من انفسهم ومن الحياة
يضمونها امامهم ليحذفوا فيها بنظرة ساخرة مؤثرة وان لم يعدوا ان
تثور بهم من حين الى حين موجة تأتي من القاع « فاذا بهم يزيدون ،
واذا بالابتسامه تظفر مرارة ، واذا بالسورور يتساقط من اطراف اصابعهم
كالعرق البارد . « وفيليسيتيه « خادمة من خدم الريف : عقل محدود
وقلب رحب ، ومن هذه المفارقة يشع نبيل حياتها المتواضعة الحزينة .
مثل حي للملايين البشر الذين لم تفسد الحياة العقلية طينتهم فتركها
كما هي بما تحمل من عظمة وبؤس ... فيليستيه تحيا الحياة دون ان
تفكر فيها ، ولكم تذكروني حياتها بقول المسيحية (انسي نفسك كي لا تفوق
موسيقاها) « .

ويمضي الدكتور مندور في رحلته العظيمة يتتبع النماذج البشرية
التي خلفها كتاب كبار كان لديهم ما يقولونه للبشر جميعا ملقيا الضوء
على الكثير من صور العذاب الانساني ، مستخلصا ابعادا جديدة لمعنى
الحرية ، والاخاء الانساني ، والعدل ، والمصير ... الخ « اخذا في
ذلك بمنهج وصفي تحليلي مقارن ، ومستعينا بمعرفته بالتاريخ الانساني
والادبي ، والبيئة التي انتجت النموذج ، وسائر العلوم الانسانية ذات
الفائدة القصوى في اضاءة العمل الادبي ، ولكسن بغير افحام لتلك
الظواهر والعلوم على النص ، فقد كان نقده موضعيا ينصب على النص
الادبي قبل كل شيء ، ذوقيا يتقصى بروح العلم الاثر الذي يخلفه
النص في نفسه وفي الخارج ، مستندا الى ثقافته المتبحرة في الادب
والفن والعلوم الانسانية في تحليل ذلك الاثر . ولقد نادى الدكتور
مندور من البداية باستقلال مناهج البحث في الادب واللفه عن مناهج
البحث في العلوم الاخرى ، متائرا في ذلك براء كبار الاساتذة
الفرنسيين ، ودافع عن هذا الرأي في معارك شهيرة مع العقاد ومع
الدكتور خلف الله المتادين بالاخذ بالمنهج النفسي في تفسير الاعمال
الادبية . هذا المنهج الذي يحول النقد الى وفاق نفسية قد تدلنا ان
صح التحليل على المزاج النفسي والعصبي لصاحب العمل الادبي -
ولا تفيد كثيرا في اضاءة العمل الادبي الذي يتكسب نوعا من الاستقلال
الموضوعي عن صاحبه بمجرد وجوده .

لقد نبه العلم الحديث الى اختلاف نوع العناصر المتفاعلة من ظاهرة
الى اخرى وقضى على الكسل العقلي الذي يركن الى الربط السطحي
بين الظواهر المختلفة كالربط الشهير بين ظاهري السياسة والفن .
واعترف علماء الجمال الواقعيون بالاستقلال النسبي لظاهرة الفن .
فاذا كان الدكتور مندور قد ادرك هذه الحقائق منذ ما يزيد على ربع
قرن ، وسار يقدمين ثابتتين ، يمهد الارض باعادة تقييم تراثنا الادبي
والنقدي العربيين ، ويلقحها باينع ثمار الفكر الغربي . ويعمل في داب
الفلاح المصري على تنقيتها من حشائش السطحية والخطابة والتزمت
وضيق الافق . واذا لم يكن النقد الواقعي مجرد ادعاء نظري ، واذا
ربطنا في امانة بين النظرية والجهد الخلاق ، ربما نتفق على ان مندور
في المرحلة الاولى من نقده هو البداية الحقيقية العظيمة للنقد الواقعي
في الادب العربي الحديث .

شوقي خميس

القاهرة